

ثانيًا - نضائس
من الباقية (العامة)

obeikandi.com

١- عظمة الله جل جلاله

قَالَ تَجَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسمُ الله الأعظم: الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى: هو اسمُ الحي القيوم، والحياة التامة تضاد جميع الأسقام والآلام. «زاد المعاد» (ج٤/ ص ٤٠٢).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحجرات: ٣٧] وله وحده سبحانه العظمة، والجلال والكبرياء، والسلطان والقدرة، والكمال في السموات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وهو العزيز الذي لا يُعَالَب، الحكيم في أقواله وأفعاله وقدره وشرعه. «التفسير الميسر» (ج٩/ ص ١٢٧)

قَالَ تَجَالَى: ﴿اللَّهُ﴾ يا محمد هو ﴿الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾ السبع ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا﴾ [الرعد: ٢] فجعلها للأرض سقفاً مسموكة، قال بعضهم: بعمدٍ لا ترونها، وقال آخرون: بل هي مرفوعة بغير عمد، وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يُقال كما قَالَ اللَّهُ تَجَالَى: ﴿الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا﴾ فهي مرفوعة بغير عمدٍ نراها كما قال ربنا جل ثناؤه ولا خبر بغير ذلك، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه. «تفسير الطبري» (ج١٦/ ص ٣٢٢).

قَالَ تَجَالَى: ﴿سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤] أي: تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي كل عبد لديه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه الذي قهر الأشياء فدانت وذلت وخضعت تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. «تفسير ابن كثير» (ج٧/ ص ٨٥).

قَالَ تَجَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الحج: ٢٦-٢٧] ما تضمنته هذه الآية الكريمة من فناء كل من على الأرض وبقاء وجهه جلّ وعلا المتصف

بالجلال والإكرام، جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [التَّحْضُّرُ: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الزُّمَرُ: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٥٨] إلى غير ذلك من الآيات، والوجه صفة من صفات الله العلي وصف بها نفسه، فعليها أن نصدق ربنا، ونؤمن بها وصف به نفسه مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق. «أضواء البيان» (ج٧/ ص ٥٠١).

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجْعِدُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرَّعْدُ: ٣١] ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ هو الصوت الذي يسمع من السحاب، المزعج للعباد فهو خاضع لربه مسبح بحمده، وتسبح ﴿وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ خشعاً لربهم خائفين من سطوته ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وهي هذه النار التي تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده ﴿وَهُمْ يُجْعِدُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ أي: شديد الحول والقوة، فلا يريد شيئاً إلا فعله، ولا يتعاصى عليه شيء ولا يفوته هارب. «تفسير السعدي» (ص ٤١٤).

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٦] الله هو القاهر فوق عباده فوقية مطلقة من كل وجه تليق بجلاله، كل شيء خاضع لجلاله وعظمته، ويرسل على عباده ملائكة يحفظون أعمالهم، ويحفظونها حتى إذا نزل الموت بأحدهم قبض روحه ملك الموت وأعوانه وهم لا يضيعون ما أمروا به. «التفسير الميسر» (ج٢/ ص ٣٥٦).

٢- تبارك الله رب العالمين

قَالَ تَجَالَى: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الْإِنشَاء: ٥٤] أي: جاء بكل بركة وقيل:

تقدس، والقدس: الطهارة، وقال المحققون: معنى هذه [الصفة] ثبت ودام بها لم يزل ولا يزال، وأصل البركة الثبوت، ويُقال: تبارك الله ولا يُقال: متبارك ولا مبارك، لأنه لم يرد به التوقيف. «تفسير البغوي» (ج٣/ ص ٢٣٦).

قَالَ تَجَالَى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الْإِنشَاء: ٥٤] سأل رجل مالك بن أنس عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق رأسه ملياً وعلاه الرخصاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالاً ثم أمر به فأخرج^(١).

قَالَ تَجَالَى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الْمُلْك: ٦٢] الذي لا يزال ولا يزول، الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، كامل الأسماء والصفات، صادق الوعد الذي وعده حق، ولقاؤه حق ودينه حق، وعبادته هي الحق النافعة الباقية على الدوام ﴿وَأَنْتَ مَا يَكْدُ عُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ من الأنداد ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ «تفسير السعدي» (ص ٥٤٣).

قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الْمُلْك: ٧٤] كامل القوة، كامل العزة، ومن كمال قوته وعزته، أن نواصي الخلق بيديه، وأنه لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بإرادته ومشيئته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. «تفسير السعدي» (ص ٥٤٦).

قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [الْغَافِر: ٥].

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٦٦٤)، وأبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (ج٦/ ص ٣٥٢)، والصابوني في «عقيدة أصحاب الحديث».

قال ابن الجوزي: نظرتُ في الأدلة على الحق سبحانه فوجدتها أكثر من الرمل، ورأيتُ من أعجبها أن الإنسان قد يخفي ما لا يرضاه الله، فيظهره الله عليه وحده ولو بعد حين، وينطق الألسنة به وإن لم يُشاهده الناس. «صيد الخاطر» (ص ٦٧).

قَالَ النَّجَّارِيُّ: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرَّعْدُ: ١٠] يستوي في علمه تعالى مَنْ أخفى القول منكم، وَمَنْ جهر به، ويستوي عنده مَنْ استتر بأعماله في ظلمة الليل، ومن جهر بها في وضوح النهار.

«التفسير الميسر» (ج ٤/ ص ٢٢٢)

قَالَ النَّجَّارِيُّ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشُّرَى: ٣٥] الله بذاته نور، وحجابه نور الذي لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، وبه استنار العرش والكرسي والشمس والقمر والنور وبه استنارت الجنة، فكتابه نور وشرعه نور والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور. «تفسير السعدي» (ص ٥٦٨).

قَالَ النَّجَّارِيُّ: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [الشُّرَى: ٣٥] هو نور من إشراق الزيت على نور من إشعال النار، فذلك مثل الهدى يضيء في قلب المؤمن، ولما كان هذا من نور الله، وليس كل أحد يصلح له ذلك ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ الله يوفق لاتباع القرآن مَنْ يشاء من عباده. «التفسير الميسر» (ج ٦/ ص ٢٣٩).

٣- عالم الغيب والشهادة

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وعند الله مفاتيح الغيب، أي: خزائن الغيب لا يعلمها إلا هو ومنها: علم الساعة، ونزول الغيث، وما في الأرحام، والكسب في المستقبل، ومكان موت الإنسان، ويعلم كل ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة من نبتة إلا يعلمها، فكل حبة في خفايا الأرض، وكل رطب ويابس، مثبت في كتاب واضح لا لبس فيه وهو اللوح المحفوظ.

«التفسير الميسر» (ج ٢/ ص ٣٥٤)

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢] هو الله المعبود بحق الذي لا إله سواه، عالم السر والعلن، يعلم ما غاب وما حضر، هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، الرحيم بأهل الإيمان به.

«التفسير الميسر» (ج ١٠/ ص ٩٧)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ [هود: ٣١] ﴿تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ أي: تستقلهم، وتستهين بهم، والمعنى: ولا أقول لكم إنني أملك التصرف في خزائن الله، ولا أعلم الغيب، ولست بملك من الملائكة، ولا أقول لهؤلاء الذين تحتقرون من ضعفاء المؤمنين: لن يؤتيكم الله ثواباً على أعمالكم فالله وحده أعلم بما في صدورهم وقلوبهم، ولئن فعلت ذلك إنني إذا لمن الظالمين. «التفسير الميسر» (ج ٤/ ص ١٢).

٤- بيده ملكوت كل شيء

قَالَ تَجَالَى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الْمُؤْتَفِك: ٨٨] مَلَكٌ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ، وَالْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، مَا نَبْصَرُهُ، وَمَا لَا نَبْصَرُهُ. وَالْمَلَكُوتُ صِيغَةُ مَبَالِغَةٍ بِمَعْنَى الْمَلِكِ ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ عِبَادَهُ مِنَ الشَّرِّ، وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ الْمَكَارَهَ، وَيَحْفَظُهُمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ ﴿وَلَا يُجَاكِرُ عَلَيْهِ﴾ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُجِيرَ عَلَى اللَّهِ وَلَا يَدْفَعُ الشَّرَّ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ، بَلْ وَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ.

«تفسير السعدي» (ص ٥٥٧)

قَالَ تَجَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [الْجُنُود: ٢٦] يَعْنِي: يَا مَالِكُ الْعِبَادِ وَمَا مَلَكُوا وَقِيلَ: يَا مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ يَعْنِي مَلِكُ النُّبُوَّةِ، وَقِيلَ: تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ أَبِي جَهْلٍ وَصَنَادِيدَ قُرَيْشٍ وَقِيلَ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ فَارَسَ وَالرُّومَ. «تفسير البغوي» (ج ٢ / ص ٢٣).

قَالَ تَجَالَى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الْجُنُود: ٢٦] لَا بِيَدٍ غَيْرِهِ، وَذَكَرَ الْخَيْرَ دُونَ الشَّرِّ، لِأَنَّ الْخَيْرَ بِفَضْلِ مُحَضٍّ بِخِلَافِ الشَّرِّ، فَإِنَّهُ يَكُونُ جِزَاءً لِعَمَلٍ وَصَلَ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ حَذَفَ كَمَا حَذَفَ فِي قَوْلِهِ: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [الْجُنُود: ٨١] وَقِيلَ خَصَّ الْخَيْرَ: لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامَ دَعَاءٍ. ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تَعْلِيلٌ لِمَا سَبَقَ وَتَحْقِيقٌ لَهُ.

«فتح القدير» (ج ١ ص ٣٣٠)

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الْجُنُود: ٢٩] مَا تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ جَاءَ مُوضَحًا

في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرْذَكْ بَخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يُونُسُ: ١٠٧]، وكما في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [قَطَاطِرُ: ٢]. «أضواء البيان» (ج٨/ ص ١٥٦).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧٩) **وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** (٨٠) **وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ** (٨١) **وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ** ﴿[الشَّعَرَاءُ: ٧٩-٨٢] الله وحده المنفرد بذلك فيجب أن يفرد بالعبادة والطاعة فلا يخلق ولا يهدي، ولا يمرض ولا يشفي، ولا يطعم ولا يسقي، ولا يميت ولا يحيي، ولا ينفع ولا يغفر الذنوب إلا الله. «تفسير السعدي» (ص ٥٩٢)

قَالَ تَجَالَى: ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكُفْرَونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الْمَلِكُ: ٢٠]، ﴿أَمَنْ﴾ مبتدأ ﴿هَذَا﴾ خبره ﴿الَّذِي﴾ بدل من هذا ﴿هُوَ جُنْدٌ﴾ أعوان ﴿لَكُمْ﴾ صلة الذي ﴿يَنْصُرُكُمْ﴾ صفة جند ﴿مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: غيره يدفع عنكم عذابه أي: لا ناصر لكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْكُفْرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ غرهم الشيطان بأنَّ العذاب لا ينزل بهم. «تفسير الجلالين» (ص ٧٦٥).

٥- من دلائل قدرة الله

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [الرَّحْمَةُ: ٢] وأجرى الشمس والقمر في السماء فسخرهما فيها لمصالح خلقه، وذللهما لمنافعهم ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين والحساب ويفصلوا به بين الليل والنهار ﴿كُلٌّ يَجْرِي﴾ كل ذلك يجري في السماء ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لوقت معلوم وذلك إلى فناء الدنيا وقيام القيامة التي عندها تكور الشمس، ويخسف القمر، وتنكدر النجوم. «تفسير الطبري» (ج١٦/ ص ٣٢٦).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٢] لما كانت البروج اثني عشر فمتى تكرر الهلال اثني عشر مرة فقد انتقل فيها كلها فصار ذلك سنة كاملة تعلقت به أحكام ديننا من المؤقتات شرعاً أو شرطاً إما بأصل الشرع كالصيام والحج، وإما بسبب من العبد كالعدة ومدة الإيلاء وصوم الكفارة والنذر، وإما بالشرط كالأجل في الدين والخيار والأيمان وغير ذلك. «دقائق التفسير» (ج٢/ ص ٢١٩).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرَّحْمَةُ: ١٣] ويسبح الرعد بحمد الله تسبيحاً يدل على خضوعه لربه، وتنزه الملائكة ربها من خوفها من الله، ويرسل الله الصواعق المهلكة فيهلك بها من يشاء من خلقه والكفار يجادلون في وحدانية الله وقدرته على البعث وهو شديد الحول والقوة والبطش بمن عصاه. «التفسير الميسر» (ج٤/ ص ٢٢٥).

٦- وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزُّمَرُ: ٦٧] ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره، ثم أخبر عن عظمته فقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَكُوتُ مَطْوِيَّتُ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٦٧] روي عن النبي ﷺ قال: «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟». «تفسير البغوي» (ج٧/ ص ١٣٠).

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الْإِنشَاء: ١] اعلم أن سورة هل أتى على الإنسان سورة عجيبة الشأن من سور القرآن على اختصارها فإن الله سبحانه ابتدأها بذكر كيفية خلق الإنسان من النطفة ذات الأمشاج والأخلاط التي لم يزل بقدرته ولطفه وحكمته يصرفه عليها أطوارًا، وينقله من حال إلى حال إلى أن تمت خلقته، وكملت صورته فأخرجه إنسانًا سويًا سميعًا بصيرًا، ثم لما تكامل تمييزه وإدراكه هداه طريقي الخير والشر والهدى والضلال، وأنه بعد هذه الهداية إما أن يشكر ربه وإما أن يكفره، ثم ذكر مآل أهل الشكر والكفر وما أعد لهؤلاء وهؤلاء، وبدأ أولاً بذكر عاقبة أهل الكفر ثم عاقبة أهل الشكر، وفي آخر السورة ذكر أولاً أهل الرحمة ثم أهل العذاب. «دقائق التفسير» (ج٣/ ص ٢١)

ينبغي لمن رأى نفسه تسكن للخلق، وتتعرض بالدناءة من الأخلاق أن يعرفها تعظيم خالقها لها فيقول: ألسنت التي قال فيك: «خلقت بيدي» أسجدت لك ملائكتي، وارتضالك للخلافة أرضه، وراسلك واقترض منك واشترى. «صيد الخاطر» (ص ٨١).

٧- عظمة القرآن الكريم

قَالَ تَجَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ [النَّوْحُ: ١٢] أي: ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ أي: ذو عظمة ومجد، ووصف القرآن بأنه مجيد لا يعني أن المجد وصف للقرآن نفسه فقط، بل هو وصف للقرآن، ولمن تحمل هذا القرآن فحمله، وقام بواجبه من تلاوته حق التلاوة، فإنه سيكون لهم المجد والعزة والرفعة. «تفسير ابن عثيمين» (جـ ٢٣/ ص ١٩).

قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [الطَّارِقُ: ١٣] يفصل بين الحق والباطل، وبين المتقين والظالمين، بل إنه فصل أي قاطع لكل مَنْ ناوأه وعاداه، ولهذا نجد المسلمين لما كانوا يجاهدون الكفار بالقرآن نجدهم غلبوا الكفار، وقطعوا دابرهم، وقضي بينهم، فلما أعرضوا عن القرآن هُزموا، وأذلوا بقدر بُعدهم عن القرآن. «تفسير ابن عثيمين» (جـ ٢٤/ ص ٧).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَمَا هُوَ بِأَنْزِلٍ﴾ [الطَّارِقُ: ١٤] أي: القرآن الكريم ما هو باللعب والعبث واللغو، بل هو حق، كلماته كلها حق، أخباره صدق، وأحكامه عدل، وتلاوته أجر، لو تلاه الإنسان كل أوانه لم يمل منه، وإذا تلاه بتدبر وتفكر فتح الله عليه من المعاني ما لم يكن عنده من قبل. «تفسير ابن عثيمين» (جـ ٢٤/ ص ٧).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٨٢].

قال قتادة: لم يُجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان قضى الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً. «تفسير البغوي» (جـ ٥/ ص ٣٢١).

قَالَ تَجَالَى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصِدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الْحُشْدِ: ٢١] أي: لو جعل في الجبل تمييز، وأنزل عليه القرآن لخشع وتشقق وتصدع

من خشية الله، مع صلابته ورزاقته، حذرًا من أن لا يؤدي حق الله في تعظيم القرآن. «تفسير البغوي» (جـ ٨/ ص ٨٧).

قَالَ تَجَالِي: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٣] المعنى: هو القرآن العظيم ﴿مُتَشَبِّهًا﴾ متشابهًا في حسنه وإحكامه وعدم اختلافه، تشنى فيه القصص والأحكام والحجج والبيانات ﴿مَثَانِي نَقْشَعُرٍ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ تقشعر من سماعه، وتضطرب جلود الذين يخافون ربهم تأثرًا بما فيه من ترهيب ووعيد ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ثم تلين جلودهم وقلوبهم: استبشارًا بما فيه من وعد وترغيب.

«التفسير الميسر» (ج٨/ ص ٢٤٥) و«معجم الفرائد» (ص ٩٢)

قَالَ تَجَالِي: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ ﴿١٨٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ١٨٩-١٩٩] لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا: على وجه التعنت والعناد هلا أنزل مفصلاً بلغة العرب، ولأنكروا ذلك فقالوا: ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ ﴿فُضِّلَتْ: ٤٤﴾ أي: كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه؟. «تفسير ابن كثير» (ج٧/ ص ١٨٤).

قَالَ تَجَالِي: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [الْقِيَامَةُ: ١٦-١٧] هذا تعليم من الله لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يُبادر إلى أخذه، ويُسابق الملك في قراءته، فأمره الله إذا جاءه الملك بالوحي، أن يستمع له، وتكفل الله له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه عليه.

«تفسير ابن كثير» (ج٧/ ص ٢٧٨)

٨- وأن المساجد لله

قَالَ تَجَالِي: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج: ١٨] ولم يقل: وأن المشاهد لله، وقد علم بالنقل المتواتر بل علم بالاضطرار من دين الإسلام: أن الرسول ﷺ: شرع لأئمة عمارة المساجد بالصلوات، والاجتماع للصلوات الخمس ولبصلاة الجمعة والعيدين وغير ذلك، وأنه لم يشرع لأئمة أن يبنوا على قبر نبي ولا رجل صالح لا من أهل البيت ولا غيرهم لا مسجدًا ولا مشهدًا. «دقائق التفسير» (ج٢/ ص ١٥٠).

قَالَ تَجَالِي: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج: ١٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كان الصحابة إذا رأوا أحدًا بنى مسجدًا على قبر فهو عن ذلك ولما ظهر قبر دانيال بتستر كتب فيه أبو موسى الأشعري رحمته الله إلى عمر رحمته الله فكتب إليه عمر أن تحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرًا، وتدفعه بالليل في واحد منها لئلا يفتتن الناس به، وكان عمر بن الخطاب إذا رآهم يتتابون مكانًا يصلون فيه لكونه موضع نبي ينهاهم عن ذلك، ويقول: إنما هلك من كان قبلكم باتخاذ آثار أنبيائهم مساجد، من أدركته الصلاة فيه فليصل وإلا فليذهب، فهذا وأمثاله كانوا يُحققون به التوحيد الذي أرسل الله به الرسول إليهم، ويتبعون في ذلك سنته ﷺ والإسلام مبني على أصليين: أن لا نعبد إلا الله، وأن نعبد به ما شرع لا نعبد به بالبدع. «دقائق التفسير» (ج٢/ ص ١٥١).

٩- فادعوا الله مخلصين

قَالَ تَجَالَى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [تَجَالَى: ١٤] لما ذكر سبحانه ما نصبه من الأدلة على التوحيد أمر عباده بدعائه، وإخلاص الدين له فقال: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: إذا كان الأمر كما ذكر من ذلك فادعوا الله وحده مخلصين له العبادة التي أمركم بها ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ذلك فلا تلتفتوا إلى كراحتهم ودعوهم يموتوا بغيبظهم ويهلكوا بحسرتهم. «فتح القدير» (جـ ٤/ ص ٤٨٤).

قَالَ تَجَالَى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [يُونُسُ: ٤٩].

قال الشوكاني: «وفي هذه أعظم واعظ وأبلغ زاجر لمن صار ديدنه المنادة لرسول الله، والاستغاثة به عند نزول النوازل التي لا يقدر على دفعها إلا الله، فإن هذا مقام رب العالمين الذي خلق جميع المخلوقين، رب الأرباب القادر على كل شيء». «فتح القدير» (جـ ٢/ ص ٤٥٠).

قَالَ تَجَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الْحَاقَّةُ: ٢] وفيها من كمال التوحيد العلمي الاعتقادي، وإثبات الأحديّة لله، المستلزمة نفى كلّ شريك عنه، وإثبات الصّمدية المستلزمة لإثبات كلّ كمال له مع كون الخلاق تصمّد إليه في حوائجها، ونفي الوالد والولد، والكفء عنه المتضمن لنفي الأصل، والفرع والنظير، والمائل، مما اختصّت به وصارت تعدّل ثلث القرآن.

«زاد المعاد» (جـ ٤/ ص ١٨١)

قَالَ تَجَالَى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ ۝ عَبْدًا مَمْلُوكًا ۝ فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ٢٩] أي: لشركاء مختلفون متشاجرون متنازعون مختصمون فهو حيران في إرضائهم ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزُّمَرُ: ٢٩] وعبدًا خالصًا

لمالك واحد يعرف مراده، وما يرضيه هل يستويان مثلاً؟ لا يستويان كذلك المشرِك هو في خيرة وشك والمؤمن في راحة واطمئنان.

«التفسير الميسر» (ج١/ ص ٢٤٩)، و«معجم الفرائد» مادة (ش ك س) (ص ٦٣)

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿فَإِنْ حَاجُّكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [التَّحَرُّكُ: ٢٠] قال عَنِ النَّبِيِّ: «أَسَلَّمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ» جعلتها مُسَلَّمةً لك، تسليم العبد المملوك نفسه إلى سيده، ومالكة، وتوجيه وجهه إليه: يتضمَّن إقباله بالكلية على ربه، وإخلاص القصد والإرادة له، وإقراره بالخضوع والذل والانقياد. «زاد المعاد» (ج٤/ ص ٢٤٤).

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٦٥] أي: طلباً لرضا الله واعتقاداً راسخاً بصدق وعده ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ بستان عظيم بأرض عالية طيبة ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ هطلت عليه أمطار غزيرة ﴿فَكَانَتْ أَكْثَرُهَا ضِعْفَيْنِ﴾ فتضاعفت ثمراته ﴿فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا﴾ تسقط عليها ﴿وَابِلٌ﴾ مطر غزير ﴿فَطُلُ﴾ فيكفيه رذاذ المطر ليعطي الثمرة المضاعفة، وكذلك نفقات المخلصين تُقبل عند الله وتضاعف قلَّت أم كَثُرَتْ ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ على السرائر، البصير بالظواهر والبواطن، يُثيب كلاً بحسب إخلاصه.

«التفسير الميسر» (ج١/ ص ٢٧٨)

١٠- إن الحكم إلا لله

قَالَ تَجَالِي: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧] فكما أنه

هو الذي حكم بالحكم الشرعي فأمر ونهى فإنه سيحكم بالحكم الجزائي فيُثيب ويُعاقب بحسب ما تقتضيه حكمته، فالاعتراض على حكمه مطلقاً مدفوع، وقد أوضح السبيل وقصَّ على عباده الحق قصاً ليهلك مَنْ هلك عن بينة، ويحيى مَنْ حي عن بينة ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ﴾ بين عباده في الدنيا والآخرة. «تفسير السعدي» (ص ٢٥٨).

قَالَ تَجَالِي: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ

لِمَنْ يَشَاءُ وَبِرِضَى﴾ [التجئة: ٢٦] كم من ملك لا تُغني شفاعتهم شيئاً لو شفع إلا بثلاثة شروط: الأول: أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة بأن يشفع فيشفع، الثاني: أن يرضى عن المشفوع له، الثالث: يرضى عن الشافع؛ لأنه لا يمكن أن يأذن للشافع إلا بعد أن يرضى عنه، ولا بد أن يرضى عن المشفوع له وإلا فلا تنفع الشفاعة، كما قال عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] «تفسير ابن عثيمين» (ج ١١ ص ١٢).

قَالَ تَجَالِي: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ

وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١] ألم يبصر هؤلاء الكفار أننا نأتي الأرض نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا، وذلك بفتح المسلمين بلاد المشركين وإلحاقها ببلاد المسلمين؟ والله يحكم لا معقَّب لحكمه وقضائه وهو سريع الحساب فلا يستعجلوا بالعذاب: فإن كل آت قريب.

«التفسير الميسر» (ج ٤/ ٢٥٢)

١١- إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ يعني: الدين المرضي الصحيح، كما **قَالَ النَّبِيُّ:** ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، والإسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة، يُقال: أسلم أي دخل في السلم واستسلم، قال قتادة في قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله ودل عليه أوليائه [ولا يقبل غيره ولا يجزي إلا به] «تفسير البغوي» (ج٢/ص ١٨).

قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الحديث الصحيح «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغريباء»، لا يقتضي هذا أنه إذا صار غريباً يجوز تركه والعياذ بالله، بل الأمر كما **قَالَ النَّبِيُّ:** ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [التوبة: ٨٥] فالأنبياء كلهم كان دينهم الإسلام الصحيح حديث عياض بن حماد: عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**. «دقائق التفسير» (ج٣/ص ١١٤).

قال ابن القيم: «كان الإسلام في بدايته كالنطفة، فاقتنع بكلمة التوحيد، فلما نفخ فيه الروح احتاج إلى الغذاء، ففرضت الصلاة، فلما تحرك وجبت الهجرة، فلما اشتد وجبت الزكاة، فلما قربت الولادة لزم الحج، فلما ظهر طفلاً حبي بلطف ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾ فلما خاف من الزلل والعقاب جاءت بشارة ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾، فلما ترعرع قال المؤدب: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ فلما بلغ أشده واستوى جاء ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾» «بدائع الفوائد» (ج٣/ص ٥٧٩).

١٢- اهدنا الصراط المستقيم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الْفَاتِحَةُ: ٦] لم يُبين هنا مَنْ هؤلاء الذين أنعم عليهم. وبين ذلك في موضع آخر بقوله: ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النِّسَاءُ: ٦٩] يُؤخذ من هذه الآية الكريمة: صحة إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ لأنه داخل فيمن أمرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم - أعني الفاتحة - بأن نسأله أن يهدينا صراطهم.

«أضواء البيان» (جـ ١/ ص ٨)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ﴾ [الْمَائِدَةُ: ١٦] يهدي به الله ما رضىه الله طرق السلامة، الموصلة إلى دار السلامة، المنزهة عن كل آفة، والمؤمنة من كل مخافة، وهي الجنة، ويخرجهم من ظلمات الكفر، والجهالات إلى نور الإسلام والهدايات ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ بتوفيقه وإرادته. «تفسير القرطبي» (جـ ٦/ ص ١١٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ ﴾ [الْحَجَّ: ٩] أي: على الله تقويم طريق الهدى وتبيينه، وقيل: إن مَنْ سلك السبيل القاصد فعلى الله طريقه، وإلى ذلك مصيره فيكون هذا مثل قوله: ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الْحَجَّ: ٤١]، ﴿ وَمِنْهَا جَايِزٌ ﴾ يُريد طريق اليهود والنصارى وغيرهم كعباد الأصنام، والضمير في (منها) يعود على السبيل التي يتضمنها معنى الآية كأنه قال: ومن السبيل جائز فأعاد عليها، وإن كان لم يجز لها ذكر لتضمن لفظة السبيل بالمعنى لها. «دقائق التفسير» (جـ ٣/ ص ١٤٨).

١٣- وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] يقول تعالى أمراً عبيده فيما يؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة كما قال مقاتل: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض والصلاة، فأما الصبر فقليل: إنه الصيام، قال القرطبي وغيره: ولهذا يسمى رمضان شهر الصبر. «تفسير ابن كثير» (ج ١/ ص ٢٥١).

قَالَ تَجَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] روي عن مجاهد: أن الله تعالى لما خلق الجنة، وأتقن حسناتها قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، ووصف تعالى هؤلاء المفلحين فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ والخشوع سكون الأعضاء والوقار، وهذا إنما يظهر ممن في قلبه خوف واستكانة. «تفسير ابن عطية» (ج ٤/ ص ١٣٦).

قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨] أي: أمر المؤمنين بعمارة المساجد، وقد قال بعض السلف: إذا رأيتم الرجل يعمر المسجد فحسنوا به الظن وقوله: ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾ يتضمن الإيمان بالرسول إذ لا يتلقى ذلك إلا منه وقوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يريد خشية التعظيم، والعبادة والطاعة وهذه المرتبة العدل بين الناس، ولا محالة أن الإنسان يخشى غيره ويخشى المحاذير الدنيوية. «تفسير ابن عطية» (ج ٣/ ص ١٥).

١٤- وبالوالدين إحساناً

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٢٣] حسناً جميلاً ليناً، قال مجاهد: لا تسميهما، ولا تكنهما وقل: يا أبتاه، يا أماه، وقال مجاهد: إذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان فلا تتقذر منهما، ولا تقل لهما: أفٍ حين تميظ عنهما الخلاء كما كانا يميظانه عنك صغيراً. «تفسير البغوي» (ج ٥ / ص ٨٦).

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٢٣] لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم، قال مجاهد: معناه إذا رأيت منهما في حال الشيخ الغائط الذي رأياه منك في الصغر، فلا تقذرهما، وتقول أفٍ: والآية أعم من هذا. «تفسير القرطبي» (ج ١٠ / ص ٢٤٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَصَّ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٨٣] ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وأمرناه بالوالدين إحساناً، وقرن الله في هذه الآية حق الوالدين بالتوحيد، لأنَّ النشأة الأولى من عند الله، والنشأة الثاني - وهو التربية - من جهة الوالدين، ولهذا قرن تعالى الشكر لهما بشكره فقال: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [الْقَمَارِ: ١٤].

«تفسير القرطبي» (ج ٢ / ص ١٣)

عن أبي رجاء الهروي قال: «لا تجد سبيى الملكة إلا وجدته مختالاً فخوراً وتلا ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النِّسَاءُ: ٣٦] ولا عاقاً إلا وجدته جباراً شقيّاً وتلا ﴿وَبِرًّا بِالَّذِي لَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا﴾ [يُونُسَ: ٣٢].

«الدر المنثور» (ج ٢ / ص ٥٣٧)

١٥ - ومن يؤمن بالله يهد قلبه

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التَّحَاتُّ: ١١] وَمَنْ يَصْدَقُ بِاللَّهِ، يُوَفِّقُ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ، وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ وَيَسْتَرْجِعُ فَيَقُولُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يَهْدِ قَلْبَهُ لِلْيَقِينِ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ذُو عِلْمٍ بِمَا كَانَ وَيَكُونُ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ. «تفسير الطبري» (جـ ٢٣ / ص ٤٢٢).

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطَّلَاق: ٣] وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فِي أُمُورِهِ وَيَفُوضَهَا إِلَيْهِ فَهُوَ كَافِيهِ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «مَنْ نَزَلَ بِهِ حَاجَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ كَانَ قَهْمًا أَلَّا تَسْهَلَ حَاجَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ أَتَاهُ اللَّهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ بِمَوْتٍ آجِلٍ». «تفسير الطبري» (جـ ٢٣ / ص ٤٤٨)، و«تفسير ابن كثير» (جـ ٨ / ص ١٤٨).

تأمل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

قال المفسرون: هداي رسول الله ﷺ وكتابي: فوجدته على الحقيقة: أَنْ كُلَّ مَنْ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِمَا، فَقَدْ سَلِمَ مِنَ الضَّلَالِ بِلا شَكٍّ، وَارْتَفَعَ فِي حَقِّهِ شَقَاءُ الْآخِرَةِ بِلا شَكٍّ، إِذَا مَاتَ عَلَى ذَلِكَ. «صيد الخاطر» (ص ١٤٣).

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [التَّحَاتُّ: ١٠١] وَمَنْ يَتَعَلَّقُ بِأَسْبَابِ اللَّهِ، وَيَتَمَسَّكُ بِدِينِهِ وَطَاعَتِهِ، فَقَدْ وَفَّقَ لَطَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَمَحْجَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ غَيْرُ مَعْوِجَةٍ، فَيَسْتَقِيمُ بِهِ إِلَى رِضَى اللَّهِ، وَإِلَى النِّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَالْفَوْزِ بِجَنَّتِهِ.

«تفسير الطبري» (جـ ٧ ص ٦١)

١٦- وما النصر إلا من عند الله

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنَطْمِئَنَ قُلُوبُكُمْ بِهِ. وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الْعَنْكَرَان: ١٢٦] أي: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بالنصر ﴿وَلِنَطْمِئَنَ﴾ تسكن ﴿وَلِنَطْمِئَنَ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقتلكم ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ العزيز الذي لا يُعَالَب، الحكيم في تدبيره وفعله. يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ وَلَيْسَ بِكَثْرَةِ الْجُنْدِ. «التفسير الميسر» (ج ١/ ص ٤٢٥).

قَالَ تَجَالَى: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الْأَنْفَال: ١٨] يعني جَلَّ ثَنَاؤُهُ

بقوله: ﴿ذَلِكُمْ﴾ هذا الفعل من قتل المشركين ورميهم حتى انهزموا وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم، وإمكانهم من قتلهم وأسرهم فعلنا الذي فعلنا ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ يقول: واعلموا أَنَّ اللَّهَ مع ذلك مضعف ﴿كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ يعني: مكرهم حتى يذلوا، وينقادوا للحق أو يهلكوا. «تفسير الطبري» (ج ١٣/ ص ٤٤٩).

قَالَ تَجَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [مُحَمَّدًا: ٧] يا أيها

الذين صدَّقوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه إن تنصروا دين الله بالجهاد في سبيله والحكم بكتابه، وامتنال أوامره واجتنب نواهيه، ينصركم الله على أعدائكم، ويثبت أقدامكم عند القتال] «التفسير الميسر» (ج ٩/ ص ١٦٨).

١٧- ولدار الآخرة خير

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ [يُونُسُ: ١٠٩] أي: ولدار الآخرة خير للذين اتقوا الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ﴿أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾ أفلا يعقل هؤلاء المشركون بالله حقيقة ما نقول لهم، ونخبرهم به من سوء عاقبة الكفر؟
«تفسير الطبري» (ج ١٦ / ص ٢٩٥)

قَالَ تَجَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (٢٠) ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [الْقِيَامَةِ: ٢٠-٢١] أي: إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة، ومخالفة ما أنزله الله على رسوله ﷺ، من الوحي الحق، والقرآن العظيم، أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة، وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة، ثم قال: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِفَاضِلَةٍ﴾ من النصارة أي: حسنة، بهية، مشرقة، مسرورة، ﴿إِلَى رَيْهَا نَاطِرَةٌ﴾ أي: تراه عياناً. «تفسير ابن كثير» (ج ٨ / ص ٢٧٩).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَلَا جَرَأُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [يُونُسُ: ٥٧] أي: من أجر الدنيا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ لمن جمع بين التقوى والإيمان، فبالتقوى ترك الأمور المحرمة من كبائر الذنوب وصغائرها، وبالإيمان التام يحصل تصديق القلب بما أمر الله بالتصديق به، وتتبعه أعمال القلوب وأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات. «تفسير السعدي» (ص ٤٠٠).

قَالَ تَجَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (٢٠) ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [الْقِيَامَةِ: ٢٠-٢١].

قال ابن القيم: «تفاوتت عقولُ الخلائق، وظهرت حقائق الرجال، فأكثرهم آثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول، ولم يحتمل مرارة ساعةٍ لحلاوة الأبد، ولا ذلَّ ساعةٍ لعزِّ الأبد، ولا محنة ساعةٍ لعافية الأبد، فإنَّ الحاضر عنده شهادة، والمتنظر غيب، والإيمان ضعيف، وسلطان الشهوة حاكم، فتوَلَّى من ذلك إثارة العاجلة، ورفض الآخرة». «زاد المعاد» (ج ٤ / ص ١٩٦).

قَالَ تَجَالَى: ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النِّسَاء: ٧٧] إِنَّ مَرَارَةَ الدُّنْيَا هِيَ بَعِينُهَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ، يَقْلِبُهَا اللَّهُ كَذَلِكَ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا بَعِينُهَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ، وَلَأَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ مَرَارَةٍ مَنَقُطَعَةٍ إِلَى حَلَاوَةٍ دَائِمَةٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ عَكْسِ ذَلِكَ، فَإِنْ خُفِيَ عَلَيْكَ هَذَا، فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(١). «زاد المعاد» (ج ٤ / ص ١٩٥).

قَالَ تَجَالَى: ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النِّسَاء: ٧٧] أَعْجَبَ الْعَجَائِبِ، سُرُورُكَ بِغُرُورِكَ، وَسَهْوُكَ فِي لَهْوِكَ، عَمَّا قَدْ خُبِيَ لَكَ، تَغْتَرُّ بِصِحَّتِكَ وَتَنْسَى دُنُوَ السَّقَمِ، وَتَفْرَحُ بِعَافِيَتِكَ غَافِلًا عَنْ قَرَبِ الْأَلَمِ، كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى، وَلَمْ تَرَ فِي الْبَاقِينَ مَا يَصْنَعُ الدَّهْرُ. «صيد الخاطر» (ص ٢٦)

قَالَ تَجَالَى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الْحَزَنُ: ٢١] سَابَقُوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي السَّعْيِ إِلَى أَسْبَابِ الْمَغْفِرَةِ مِنَ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَالِابْتِعَادِ عَنِ الْمَعَاصِي، لِتَجْزُوا مَغْفِرَةً مِنْ رَبِّكُمْ ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ وَهِيَ مَعْدَةٌ لِلَّذِينَ وَحَدَّوْا اللَّهَ، وَاتَّبَعُوا رِسْلَهُ ذَلِكَ فَضَلَ اللَّهُ الَّذِي يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ. «التفسير الميسر» (ج ١٠ / ص ٤٥).

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٢)، والترمذي (٢٥٥٩)، وأحمد (ج ٢ / ص ٣٨٠)، من حديث أنس رضي الله عنه.

١٨- وتلك الجنة

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ [هُود: ١٠٨] وأما الذين سعدوا برحمة الله فهم في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من قدر ما مكثوا في النار قبل دخولهم الجنة، وذلك فيمن أخرج من النار من المؤمنين فأدخل الجنة ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ عطاء من الله غير مقطوع عنهم. «تفسير الطبري» (ج ١٥ / ص ٤٨٧).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [زَيْتُونَةٍ: ٦٢] قال أهل التفسير: ليس في الجنة ليل يُعرف به البُكرة والعشي، بل هم في نور أبداً، ولكنهم يأتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار، وقيل: المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضيق.

وقال الحسن البصري: كانت العرب لا تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي، فوصف الله جنته بذلك. «تفسير البغوي» (ج ٥ / ص ٢٤٣).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هُود: ١٠٨] هي سماء الجنة وأرض الجنة، أما قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] فالسموات وإن طُوِيَتْ وكانت كالمهل، واستحالت عن صورتها فإن ذلك لا يُوجب عدمها وفسادها؛ بل أصلها باق بتحويلها من حال إلى حال كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [الأنبياء: ٤٨] وإذا بُدِلَتْ فإنه لا يزال سماء دائمة وأرض دائمة والله أعلم. «دقائق التفسير» (ج ٢ / ص ٢٥٨).

قَالَ تَجَالَى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كَذْبًا﴾ ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حَسَابًا﴾ [التبَّ: ٣٥-٣٦] أي: لا يسمعون في الجنة كلاماً باطلاً لا خير فيه ﴿وَلَا كَذْبًا﴾ أي: ولا كذباً فلا يكذبون، ولا يكذب بعضهم بعضاً، لأنهم على سرر متقابلين قد نزع الله ما في صدورهم من غلٍ

وجعلهم إخواناً ﴿جَزَاءً مِّن رَّزْقِكَ عَظَاءً حَسَابًا﴾ [النَّبَا: ٣٦] أي: أنهم يجزون بهذا جزاءً من الله سبحانه على أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا، واتقوا بها محارم الله حساباً كافياً.

«تفسير ابن عثيمين» (ج ١٦ / ص ١١)

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يُونُس: ٢٥].

قال الحسن: إنَّ السلام لا ينقطع عن أهل الجنة وهو تحيتهم، ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يُونُس: ١٠].

وقال يحيى بن معاذ: يا ابن آدم دعاك الله إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه، فإن أجبت من دنياك دخلتها، وإن أجبت من قبرك منعتها. «تفسير القرطبي» (ج ٨ / ص ٣٢٩).

١٩ - ذلك فضل الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا

السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الْقَصَصُ: ٨٤] أي: مَنْ جَاءَ اللهُ يوم القيامة بإخلاص التوحيد فله خير، وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ وهي الشرك بالله ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي: فلا يُثاب الذين عملوا السيئات على أعمالهم السيئة ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إلا جزاء ما كانوا يعملون. «تفسير الطبري» (ج ١٩ ص ٦٣٨).

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [التَّحْنُوتُ: ٦٠] والمعنى: ما جزاء من أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة، قال عكرمة: هل جزاء مَنْ قال: لا إله إلا الله إلا الجنة، وقال الصادق: هل جزاء مَنْ أحسنت إليه في الأزل إلا حفظ الإحسان عليه في الأبد. «تفسير ابن كثير» (ج ٧ ص ٥٠٥).

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يُونُسُ: ٥٨] أي: بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق، فليفرحوا فإنه أولى ما يفرحون به، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية، الذاهبة لا محالة.

«تفسير ابن كثير» (ج ٤ ص ٢٧٥)

من عجائب الجزاء في الدنيا: أنه لما امتدت أيدي الظلم من إخوة يوسف، وشروه بثمانٍ بخسٍ امتدت أكفهم بين يديه بالطلب، يقولون: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ [يُونُسُ: ٨٨].

«صيد الخاطر» (ص ٦٦-٦٧)

٢٠- وما تنفقوا من شيء فهو يخلفه

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [التَبَارَكُ: ٩٢] يعني بذلك جلّ ثناؤه: لن تدركوا، أيها المؤمنون، البرّ وهو البرّ من الله الذي يطلبونه منه بطاعتهم إياه وعبادتهم له ويرجون منه، وذلك تفضّله عليهم بإدخالهم جنته، وصرف عذابه عنهم، ولذلك قال كثير من أهل التأويل ﴿الْبِرَّ﴾ الجنة، لأنّ برّ الرّبّ بعبده في الآخرة، إكرامه إياه بإدخاله الجنة. «تفسير الطبري» (ج ٦/ ص ٥٨٧).

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ﴾ [٤: ١٣٤] ذكر تعالى صفة أهل الجنة، فقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ أي: في الشدة والرخاء، والمنشط والمكره، والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال، كما قال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالْإِنْفَاقِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البَقَرَةُ: ٢٧٤] والمعنى: أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى، والإنفاق في مراضيه، والإحسان إلى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر. «تفسير ابن كثير» (ج ٢/ ص ١١٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التَبَارَكُ: ١٧] إن تنفقوا أموالكم في سبيل الله بإخلاص، وطيب نفس يضاعف الله ثواب ما أنفقتم، ويغفر لكم ذنوبكم، والله شكورٌ لأهل الإنفاق بحسن الجزاء على ما أنفقوا، حلیمٌ لا يُعَجِّلُ بالعقوبة على مَنْ عصاه. «التفسير الميسر» (ج ١٠/ ص ١٦٥).

٢١- وبشر الصابرين

قَالَ تَجَالَى: ﴿لَيْكِلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الْحَدِيدُ: ٢٢].

من صور علاج المصيبة: أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به، ولا ليُعذبه به، ولا ليَجْتاحه، وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه، وليسمع تضرُّعه وابتهااله، وليراه طريقًا ببابه، لائذًا بجانبه، مكسور القلب بين يديه، رافعًا قصص الشكوى إليه. «زاد المعاد» (ج ٤/ ص ١٩٤).

قَالَ تَجَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التَّجَانُّ: ١١] أي: لم يُصَبَّ أحدٌ من الخلق بمصيبة إلا بقضاء الله وتقديره ذلك عليه ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ وَمَنْ يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك، يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه. «تفسير الطبري» (ج ٢٣/ ص ٤٢١).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٥٥] أي: لنختبرنكم بشيء من خوف ينالكم من عدوكم، وبسنة تصيبكم ينالكم فيها مجاعة، وشدة، وحروب تكون بينكم وبين أعدائكم فينقص لها عددكم، وجدوب تحدث فتتقص ثماركم، كل ذلك امتحان مني لكم حتى يعرف أهل البصائر في دينهم منكم من أهل النفاق فيه. «تفسير الطبري» (ج ٣/ ص ٢٢٠).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٥٥-١٥٦] هذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته، فإنها تتضمن أصليين عظيمين: أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملكٌ لله حقيقة، الثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولا بد أن يُخَلَّفَ الدنيا وراء ظهره، وَيَجِيءَ ربه فردًا كما خلقه أول مرة. «زاد المعاد» (ج ٤/ ص ١٨٩).

قَالَ تَجَالِي: ﴿لَيْكِنَّا تَأْسُوْا عَلٰٓى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوْا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ﴾ [الْبَنَدِيْد: ٢٣] أي: تحزنوا ﴿عَلٰٓى مَا فَاتَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوْا بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ أي: أعطاكم، قال عكرمة: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكرًا، والحزن صبرًا ﴿وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ﴾ متكبر بما أُوتِيَ من الدنيا ﴿فَخُوْرٍ﴾ يفخر به على الناس. «تفسير البغوي» (ج ٨ / ص ٤٠).

قَالَ تَجَالِي: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشُّوْرَى: ٤٠] مَنْ عفا عمن ظلمه وأصلح بالعفو بينه وبين ظلمه أن الله يأجره على ذلك، وأبهم الأجر تعظيمًا لشأنه، وتنبهًا على جلالته، قال مقاتل: فكان العفو من الأعمال الصالحة ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي المبتدئين بالظلم، وقيل: لا يجب مَنْ يتعدى في الاقتصاص، ويجاوز الحد فيه.

«فتح القدير» (ج ٤ / ص ٥٤١)

قَالَ تَجَالِي: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الْإِنْفَاق: ١٩٩] ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الخض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة.

«تفسير القرطبي» (ج ٧ / ص ٣٤٤)

٢٢- جزاء المتقين

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [التكوير: ١٣٣] ثم أمرهم تعالى بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض فكيف بطولها التي أعدها الله للمتقين فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها. «تفسير السعدي» (ص ١٤٨).

قَالَ تَجَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] إذا اتقى العبد ربه وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات وشحن قلبه بالنية الخالصة، وجوارحه بالأعمال الصالحة، جعل له بين الحق والباطل فرقاناً، ورزقه فيما يريد من الخير إيماناً. «تفسير القرطبي» (ج ٧/ ص ٣٩٦).

قَالَ تَجَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، هذا الوعد منه جلّ وعلا وعد به من اتقاه في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ووعد بالرزق أيضاً من يأمر أهله بالصلاة ويصطرع عليها، وذلك في قوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطِرِعْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢]، وقد وعد المستغفرين بالرزق الكثير على لسان نبيه نوح في قوله تعالى عنه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [تيج: ١٠-١٢] وغيرها من الآيات.

«أضواء البيان» (ج ٥/ ص ٥٣١)

٢٣- جزاء الاستقامة

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْوِاسْتِقَامَةُ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الحج: ١٦] الغدق: الواسع الكثير، وماء غدقاً: أي: واسعاً كثير القطر، والمعنى: وأنه لو سار الكفار من الإنس والجن على طريقة الإسلام، ولم يُحيدوا عنها لأنزلنا عليهم ماءً كثيراً، ولو سَعنا عليهم الرزق في الدنيا. «التفسير الميسر» (ج ١٠/ ص ٢٥٦).

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠] إن الذين قالوا ربنا الله وحده لا شريك له ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على شريعته ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت قائلين لهم: لا تحافوا من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما تخلفونه وراءكم من أمور الدنيا ﴿وَابْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها.

«التفسير الميسر» (ج ٨/ ص ٤٠٠)

أخبر تعالى عن القرآن الذي أنزله على نبيه الكريم فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٥] ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يُنجيهم من المهالك، ويوضح لهم أبن المسالك، فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أحب الأمور، وينفي عنهم الضلالة. «تفسير ابن كثير» (ج ٣/ ص ٦٨).

٢٤- جزاء الاعتصام بالله

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الْعَنْكَرَان: ١٠١] وَمَنْ يَتَعَلَّقُ بِأَسْبَابِ اللَّهِ، وَيَتَمَسَّكُ بِدِينِهِ وَطَاعَتِهِ، فَقَدْ وَفَّقَ لَطَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَمَحْجَةً مُسْتَقِيمَةً غَيْرَ مَعْوِجَةٍ، فَيَسْتَقِيمُ بِهِ إِلَى رِضَا اللَّهِ، وَإِلَى النِّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَالْفَوْزِ بِجَنَّتِهِ.

«تفسير الطبري» (ج ٧ / ص ٦١)

قَالَ تَجَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ، فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١٧٥] فَأَمَّا الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ مَقَامِي الْعِبَادَةِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ، وَآمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِالْقُرْآنِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي جَنَّتِهِ، وَيَزِيدُهُمْ ثَوَابًا وَمُضَاعَفَةً، وَرَفْعًا فِي دَرَجَاتِهِمْ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ طَرِيقًا وَاضِحًا قَوَامًا لَا اعْوْجَاجَ فِيهِ وَلَا انْحِرَافَ. «تفسير ابن كثير» (ج ٢ / ص ٤٨١)

قَالَ تَجَالَى: ﴿هُوَ سَمَنَكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ فِي الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ السَّابِقَةِ ﴿وَفِي هَذَا﴾ الْقُرْآنَ، وَقَدْ اخْتَصَّكُمْ بِهَذَا الْاِخْتِيَارِ: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ بِأَنَّهُ بَلَّغَكُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِ ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى﴾ الْأُمَمِ أَنْ رَسَلَهُمْ قَدْ بَلَّغْتَهُمْ بِمَا أَخْبَرَكُمْ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، ﴿فَأَقِمُْوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا لِهَذِهِ النِّعْمَةِ قَدْرَهَا، فَتَشْكُرُوهَا، وَتَحَافِظُوهَا عَلَى مَعَالِمِ دِينِ اللَّهِ بِأَدَاءِ الصَّلَاةِ بِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا، وَإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ وَأَنْ تَلْجُؤُوا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ﴾ لِمَنْ تَوَلَّاهُ ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ لِمَنْ اسْتَنْصَرَهُ. «التفسير الميسر» (ج ٦ / ص ٩١).

٢٥ - مسافر إلى الله

قال ابن القيم: «يا منقطعين عن القوم سيروا في بادية الدجى، وانتحبوا بواد الذل، فإذا فتح باب للواصلين، فدوّنكم فاهجموا هجوم الوانين، وابسطوا أكف ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ [يُوسُف: ٨٨] لعل هاتف الرحمة يقول: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ﴾» [يُوسُف: ٩٢].

«بدائع الفوائد» (ج ٣/ ص ٧٣٣)

قال ابن القيم: «لما سافر موسى إلى الخضر وجد في طريقه مس الجوع والنصب، فقال لفتاه: ﴿ءَإِنَّا غَدَاءٌ نَأْ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكَهْف: ٦٢]، فإنه سفر إلى مخلوق، ولما واعدته ربه ثلاثين ليلة وأتمها بعشر، فلم يأكل فيها، لم يجد مس الجوع ولا النصب، فإنه سفر إلى ربه تعالى، وهكذا سفر القلب وسيره إلى ربه لا يجد فيه من الشقاء والنصب ما يجده في سفره إلى بعض المخلوقين. «بدائع الفوائد» (ج ٣/ ص ٧٢١).

قال ابن القيم: «خالف موسى الخضر في طريق الصحبة ثلاث مرات، فحلَّ عقدة الوصال بيد: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكَهْف: ٧٨] أفما تخاف يا مَنْ لَمْ يَفِ لِرَبِّهِ قَطُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ فِي بَعْضِ زَلَاتِكَ: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾» [الكَهْف: ٧٨] «بدائع الفوائد» (ج ٣/ ص ٧٤٨).

قال ابن القيم: «وهذا الطائر إذا علم أن الأنثى قد حملت أخذ ينقل العيدان لبناء العش قبل الوضع، أفتراك ما علمت قرب رحيلك إلى القبر، فهلا بعثت فراش ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ يَمُهُونَ﴾ [الرَّؤُوف: ٤٤] «بدائع الفوائد» (ج ٣/ ص ٧٤٤).

٢٦- أحوال القلوب

ضرب الله مثلاً للقلوب حين ينزل عليها الوحي بتفاوت الأراضي التي ينزل عليها المطر فقال: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ [الأنعام: ٥٨] طيب التربة والمادة إذا نزل عليه مطر ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ الذي هو مستعد له ﴿يَاذُنْ رَبِّهِ﴾ أي: بإرادة الله ومشئته ﴿وَالَّذِي خَبِثَ﴾ من الأراضي ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ أي: إلا نباتاً خاساً لا نفع فيه ولا بركة ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ ننوعها ونبينها، ونضرب فيها الأمثال ونسوقها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الله بالاعتراف بنعمه والإقرار بها، وصرفها في مرضاة الله. «تفسير السعدي» (ص ٢٩٢).

قال ابن القيم: القلوب آنية الله في أرضه، فأحبها إليه أرقها، وأصلبها، وأصفها، شغلوا قلوبهم بالدنيا، ولو شغلوها بالله والدار الآخرة لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة، ورجعت إلى أصحابها بغرائب الحكم وطرف الفوائد. «الفوائد» (ص ٩٨).

تأملت حالة عجيبة، وهي: أن المؤمن تنزل به النازلة فيدعو، ويبالغ، فلا يرى أثراً للإجابة فإذا قارب اليأس نظر حينئذٍ إلى قلبه، فإن كان راضياً بالأقدار، غير قنوط من فضل الله، فالغالب تعجيل الإجابة حينئذٍ، لأنَّ هناك يصلح الإيمان ويهزم الشيطان، وهناك تبين مقادير الرجال، وقد أشير إلى هذا في قوله: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢١٤] «صيد الخاطر» (ص ١٣٨).

٢٧- واصطبر لعبادته

قَالَ تَجَالَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [يَزِيدٌ: ٦٥] قال الزجاج: تأويله والله أعلم: هل تعلم له سمياً يستحق أن يقال له: خالق وقادر وعالم بما كان وبما يكون، وعلى هذا لا سَمِيَّ لله في جميع أسمائه؛ لأن غيره وإن سُمِّيَ بشيء من أسمائه فلله سبحانه حقيقة ذلك الوصف. «فتح القدير» (ج ٣/ ص ٣٤٣).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [التَّكْوِيْنُ: ٦٩] أو ما سمعت بأخبار الأخيار في تعبدهم واجتهادهم؟ كان علي عليه السلام يبكي بالليل في محرابه حتى تخضل لحيته بالدموع ويقول: [يا دنيا غري غيري]، وكان الحسن البصري يحيا على قوة القلب، وكان سعيد بن المسيب ملازماً للمسجد فلم تفته صلاة في جماعة أربعين سنة؟

«صيد الخاطر» (ص ٨٤)

قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَرُ: ١٠] وإذا تصور العاقل هذا حق تصوره، وتعقله حق تعقله، علم أن الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الأجر العظيم، وظفر بهذا الجزاء الخطير، وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى، ومع ذلك فاته من الأجر ما لا يقادر قدره، فضم إلى مصيبتة مصيبة أخرى. «فتح القدير» (ج ٤/ ص ٤٥٤).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البَقَرَةُ: ٤٥] قال ابن القيم: «وأما الصَّلَاةُ.. فشأنها في تفریح القلب وتقويته، وشرحه وابتهاجه ولذته أكبر شأن، وفيها: من اتصال القلب والروح بالله، وقربه والتنعيم بذكره، والابتهاج بمناجاته، والوقوف بين يديه، واستعمال جميع البدن وقواه وآلاته في عبادته، وإعطاء كل عضو حظّه منها، واشتغاله عن التعلّق بالخلق وملابستهم ومحاوراتهم، وانجذاب قُوى قلبه وجوارحه إلى ربه وفطره». «زاد المعاد» (ج ٤/ ص ٢٠٩).

٢٨- من وصايا لقمان لابنه

قَالَ تَجَالِي: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [الزَّكَاةَ: ١٧] بحدودها ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وأمر الناس بطاعة الله واتباع أمره ﴿وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وأنه الناس عن معاصي الله، ومواقعة محارمه، ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ من الناس في ذات الله، إذا أنت أمرتهم بالمعروف، ونهيتهم عن المنكر، ولا يصدنك عن ذلك ما نالك منهم، ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

«تفسير الطبري» (ج ٢٠ / ص ١٤٢)

قَالَ تَجَالِي: ﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ﴾ [الزَّكَاةَ: ١٨] لا تعرض عنهم تكبراً، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ نهي عن التكبر والتجبر، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ تعليل للنهي، والاختيال: هو المرح، والفخور: هو الذي يفتخر على الناس بماله من المال أو الشرف أو القوة أو غير ذلك، وليس منه التحدث بنعم الله، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الزَّكَاةَ: ١١] «فتح القدير» (ج ٥ / ص ٤٩٠).

قَالَ تَجَالِي: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [الزَّكَاةَ: ١٩] أي: توسط فيه والقصد ما بين الإسراع والبطء، قال مقاتل: معناه لا تختل في مشيتك، وقال عطاء: امش بالوقار والسكينة كقوله: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الزَّكَاةَ: ٦٣] ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ انقص منه واخفضه، ولا تتكلف رفعه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة يؤذي السامع.

«فتح القدير» (ج ٥ / ص ٤٩٠)

٢٩- نادى ربه نداء خفياً

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [زَمَرْ: ٣] قوله: ﴿نَادَى﴾ معناه: بالدعاء والرغبة يُستحب الإخفاء بين العبد ومولاه في الأعمال التي يزكو بها البشر، وفي الدعاء الذي هو في معنى العفو والمغفرة؛ لأنه يدل من الإنسان على أنه خير فأخفاؤه أبعد من الرياء مشتملاً على دعاء، ويُقال وصف بالخفاء؛ لأنه كان في جوف الليل سرّاً.

«تفسير ابن عطية» (ج ٤/ ص ٤)

لما فقد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام ولدًا، وطال الأمر عليه، لم يبأس من الفرج، فأخذ ولده الآخر، ولم ينقطع أمله من فضل ربه ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾، فإياك أن تستطيل مدة الإجابة، وكن ناظرًا إلى أنه المالك، وإلى أنه الحكيم في التدبير، والعالم بالمصالح، وإلى أنه يريد اختبارك ليبلى أسرارك، وإلى أنه يريد أن يرى تضرعك، وإلى أنه يريد أن يأجرك بصبرك، إلى غير ذلك. «صيد الخاطر» (ص ١٣٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكُورُ﴾ [سَبَأًا: ١٣] يحتمل أن تكون مخاطبة لآل داود ويحتمل أن تكون مخاطبة لآل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى كل وجه ففيها تنبيه وتحريض وسمع عمر بن الخطاب رجلاً يقول: اللهم اجعلني من القليل فقال له عمر: ما هذا الدعاء؟ فقال الرجل: أردت قوله عز وجل: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكُورُ﴾ فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كل الناس أعلم من عمر. «تفسير ابن عطية» (ج ٤/ ص ٤١٠).

٣٠- وقال ربكم: ادعوني

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [بَاقٍ: ٦٠] فسر بوجهين: قيل: اعبدوني وامثلوا أمري أستجب لكم كما **قَالَ تَجَالَى:** ﴿وَسَتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشورى: ٢٦] أي: يستجيب لهم، وقيل: سلوني أعطكم، وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول. «دقائق التفسير» (ج ٢/ ص ٣٥٩).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٨٠] الدالة على كمال عظمتها وكل أسمائه حسن فاطلبوا منه بأسمائه ما تريدون ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «واتركوا الذين يُغيِّرون في أسمائه بالزيادة أو النقصان أو التحريف، فسوف يجزون جزاء أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها في الدنيا من الكفر بالله، والإلحاد في أسمائه وتكذيب رسوله. «التفسير الميسر» (ج ٣/ ص ١٤١).

قَالَ تَجَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [زَيْد: ٤] اشتعل أي: أسرع فيه الشيب إسراع النار في الحطب، والمعنى: ضعف العظم مني، وإذا ضعف العظم الذي هو عماد البدن ضعف غيره ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ لأنَّ الشيب دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده ونذيره، فتوسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه وهذا من أحب الوسائل إلى الله؛ لأنه يدل التبري من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: لم تكن يا رب تردني خائبًا ولا محرومًا من الإجابة. «تفسير السعدي» (ص ٤٨٩).

٣١- وبشر المخبتين

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الفتح: ٣٤] وصف سبحانه هؤلاء المخبتين بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خافت وحذرت مخالفته، وحصول الوجل منهم عند ذكره سبحانه، دليل على كمال يقينهم، وقوة إيمانهم، ووصفهم بالصبر ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ من البلايا والمحن في طاعة الله. «فتح القدير» (ج ٣/ ص ٤٥٢).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الفتح: ٣٤] يُفسره قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الفتح: ٣٥] أي: خافت منه قلوبهم، ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ من المصائب، قال الحسن البصري: والله لنصبرن أو لنهلكن، ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الفتح: ٣٥] «تفسير ابن كثير» (ج ٥/ ص ٤٢٥).

قَالَ تَجَالَى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ لم يقل بذكر الله توجل القلوب، بل قال ﴿الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وإنما يتوكلون عليه لطمأنيتهم إلى كفايته، وأنه سبحانه حسب من توكل عليه يهديه وينصره، ويرزقه بفضله ورحمته وجوده، فالتوكل عليه يتضمن الطمأنينة إليه والاكتفاء به عما سواه، وكذلك قال في الآية الأخرى ﴿فَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَجْدٍ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿فهم مخبتون والمخبت المطمئن الخاضع لله.

٣٢- ربنا لا ترغ قلوبنا

من الأدعية القرآنية قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [الأنعام: ٨] والمعنى: يا ربنا، لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحق فصدوا عن سبيلك. «تفسير الطبري» (ج ٦ / ص ٢١١).

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [الأنعام: ٨] والمعنى: يا ربنا لا تصرف قلوبنا عن الإيمان بك بعد أن مننت علينا بالهداية لدينك، وامنحنا من فضلك رحمة واسعة إنك أنت الوهاب: كثير الفضل والعطاء تعطي مَنْ تشاء بغير حساب. «التفسير الميسر» (ج ١ / ص ٣٠٧).

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] قال العلامة ابن عثيمين: احذر إذا رأيت ضالاً أن تقول: هذا ليس أهلاً للهداية؛ لأن هناك فرقاً بين القول بالعموم، والقول بالتعيين، فالقول بالتعيين حرام؛ لأنك قد ترى شخصاً ضالاً وتقول: هذا لا يهتدي، وإذا به يهديه الله عز وجل، والعكس بالعكس، ربما ترى شخصاً مستقيماً تقول: هذا لا يمكن أن يضل، فإذا به يضلله الله، فإياك أن تشهد على معين.

«تفسير ابن عثيمين» (ج ٩ / ص ٤)

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: ٥٠] ففروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم عن المعاصي، وقيل: احترزوا من كل شيء غير الله، فمن فر إلى غيره لم يمتنع منه، وقيل: فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن، وقيل: فروا من الجهل إلى العلم.

«فتح القدير» (ج ٧ / ص ٥٠)

٣٣- في قصصهم عبرة

قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّ قَدَرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [الْقَصَصُ: ٧٦] ذكر القرطبي: عدة أوجه منها: بغيه أنه زاد في طول ثوبه شبرًا، وقيل: بغيه استخفافه بهم بكثرة ماله وولده، قاله قتادة: وقيل: بغيه نسبته ما آتاه الله من الكنوز إلى نفسه بعلمه وحيلته.

«تفسير القرطبي» (ج ١٣ / ص ٣١٠)

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَقِيلَ يَتَّارُضْ أَبْلَى مَاءٍكِ وَنَسَمَاءُ أَقْلَى وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [هُودٌ: ٤٤] القَلْع: الإزالة، ﴿وَنَسَمَاءُ أَقْلَى﴾: أي: كفي عن إنزال الماء، والمعنى: ﴿وَنَسَمَاءُ أَقْلَى﴾ وقيل يَتَّارُضْ أَبْلَى مَاءٍكِ الذي نبع منك فشربته دون ما نزل من السماء أنهارًا وبحارًا ﴿وَنَسَمَاءُ أَقْلَى﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿وَغِيضَ﴾ نقص ﴿الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ تم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بَعْدًا﴾ هلاكًا ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

«تفسير الجلالين» (ص ٢٩١)

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [الْقَصَصُ: ٤٢] المقبوحون: المبعدون عن كل خير، والمعنى: ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ﴾ أي: فرعون وقومه زيادة في عقوبتهم وخزيهم في الدنيا لعنة يلعنون، ولهم عند الخلق الشئ القبيح والمقت والدم، وهذا أمر مشاهد فهم أئمة الملعونين في الدنيا ومقدمتهم. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ المبعدين. «تفسير السعدي» (ص ٦١٦).

٣٤- وتلك الأيام

اعلم أنَّ الزمان لا يثبت على حال كما قال العجائي: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [الزَّكَاةُ: ١٤٠] فتارة فقر، وتارة غنى، وتارة عز، وتارة ذل، وتارة يفرح الموالي، وتارة يشمت الأعادي، فالسعيد مَنْ لازم أصلاً واحداً على كل حال، وهو تقوى الله، فإنه إن استغنى زانته، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر، وإن عوفي تمت النعمة عليه، وإن ابتلى حملته. «صيد الخاطر» (ص ١٣٧).

اعلم وفقك الله أنه يعرف الزيادة من النقصان المحاسب لنفسه، ومتى رأيت تكديراً في حال فاذكر نعمة ما شكرت، أو زلة قد فعلت، واحذر من نفار النعم، ومفاجأة النقم، ولا تغتر ببساط الحلم، فربما عجل انقباضه، وقد قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرَّحْمَةُ: ١١] «صيد الخاطر» (ص ٣١).

مَنْ أحب تصفية الأحوال، فليجتهد في تصفية الأعمال، قال الله: ﴿وَأَلْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الْحَجَّ: ١٦] وقال أبو سليمان الداراني: مَنْ صفى صُفِيَّ له، وَمَنْ كَدَرَ كُدِرَ عليه، وَمَنْ أَحْسَنَ في ليله كُوفِيَ في نهاره، وَمَنْ أَحْسَنَ في نهاره كُوفِيَ في ليله «صيد الخاطر» (ص ٣١).

لو رأيت أهل القبور في وثاق الأسر، فلا يستطيعون الحركة إلى نجاة ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [يُنَاسًا: ٥٤] يا منفقاً بضاعة العمر في مخالفة حبيبه والبعد عنه، ليس في أعدائك أشدَّ شراً عليك منك. «بدائع الفوائد» (ج ٣/ ص ٧٣٥).

٣٥- الشيطان يعدكم الفقر

قَالَ تَجَالَى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨] أي: الشيطان يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة الله ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي: مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق، يأمركم بالمعاصي والمآثم ومخالفة الخلاق ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ﴾ أي: في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء. «تفسير ابن كثير» (ج ١ / ص ٧٠٠).

عن عبد الله قال: «إن للإنسان من الملك لمة، ومن الشيطان لمة، فاللمة من الملك: إيعاد بالخير وتصديق بالحق، واللمة من الشيطان: إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وتلا عبد الله: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨] ^(١).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٢٠٠] في وقت وفي أي حال ﴿يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ تحس منه بوسوسة وتثبيط عن الخير أو حث على الشر ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ التجئ واعتصم بالله، واحتم بحماه ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما تقول ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيتك وضعفك، وقوة التجائك له فسيحملك من فتنه ويقيك من وسوسته كما قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إلى آخر السورة.

«تفسير السعدي» (ص ٣١٣)

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (ج ٥ / ص ٥٧٤)، بإسناد جيد، والطبراني في «الكبير» (ج ٩ / ص ١٠١)، وابن أبي عاصم في «الزهدي» (ص ١٥٧) موقوفًا، وقد رواه غيرهم مرفوعًا والموقوف أصح، قال ابن أبي حاتم: قال أبو زرعة: الناس يوقفونه عن عبد الله، وهو الصحيح. اهـ (العلل لابن أبي حاتم) (ج ٢ / ص ٢٤٤).

٣٦- الإيمان بالملائكة

قَالَ تَجَالِي: ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرٌ﴾ [التَّائِيَاتِ: ٥] وصف للملائكة بأنها تدبر الأمر، فجبرائيل موكل بالوحي يتلقاه من الله، وينزل به على الرسل، وإسرافيل: موكل بنفخ الصور يوم القيامة فيفزع الناس ويموتون، ثم ينفخ فيه أخرى فيبعثون، وهو أيضًا من حملة العرش، وميكائيل: موكل بالمطر والنبات، وملك الموت موكل بالأرواح، ومالك: موكل بالنار، ورضوان: موكل بالجنة، وعن اليمين وعن الشمال قعيد موكل بالأعمال، كلٌّ يدبر ما أمره الله به. «تفسير ابن عثيمين» (ج ١٧ / ص ٤).

قَالَ تَجَالِي: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿[التَّكْوِيْن: ١٩-٢١]، وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴿[الْحَاقَّة: ٤٠-٤١] فرق بين الموضعين: الإجابة في الأول: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنه بلغه عن الله إلى محمد ﷺ، وفي الثاني: محمد ﷺ؛ لأنه بلغه إلى الناس، وإلا فإن الذي قاله ابتداءً هو الله سبحانه.

«تفسير ابن عثيمين» (ج ٢٤ / ص ٧)

قَالَ تَجَالِي: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٩٨] ميكال: اسم ملك من الملائكة، والمعنى: مَنْ عَادَى اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ، وَرُسُلَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَوِ الْبَشَرِ، وَبِخَاصَّةِ الْمَلَكَيْنِ جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ زَعَمُوا أَنَّ جِبْرِيلَ عَدُوَّهُمْ، وَمِيكَالَ وَلِيَّهُمْ، فَأَعْلَمَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ مَنْ عَادَى وَاحِدًا مِنْهُمَا فَقَدْ عَادَى الْآخَرَ، وَعَادَى اللَّهَ أَيْضًا، فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْجَاهِدِينَ مَا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ. «التفسير الميسر» (ج ١ / ص ١١٢).

٣٧- من أحوال يوم القيامة

قَالَ تَجَالَى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِثِ﴾ [النَّبَأ: ٩] وسُمِّيَ يوم القيامة يوم التغابن؛ لأنه غبن فيه أهل الجنة أهل النار، أي أن: أهل الجنة أخذوا الجنة وأخذ أهل النار النار، على طريق المبادلة، فوقع الغبن لأجل مبادلتهم الخير والشر، والجيد بالردئ والنعيم بالعذاب. (تفسير القرطبي) (ج ١٨ / ص ١٣٦)

قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا﴾ [النَّبَأ: ١٧] وهو يوم القيامة، وسُمِّيَ يوم الفصل؛ لأن الله يفصل فيه بين العباد فيما شجر بينهم، وفيما كانوا يختلفون فيه، فيفصل بين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل الكفر وأهل الإيمان، وأهل العدوان وأهل الاعتدال، ويفصل فيه أيضًا بين أهل الجنة والنار، فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿كَانَ مِيقَتًا﴾ يعني موقوتًا لأجل معدود. (تفسير ابن عثيمين) (ج ١٦ / ص ٦).

قَالَ تَجَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ﴾ [نَحْس: ٣٣] الصاخة: هي التي تصخ الأسعاع، وهي يوم القيامة، سُميت بذلك؛ لأنها ذات أهوال وأصوات صاخة، والمعنى: فإذا جاءت صيحة يوم القيامة التي تصم من هولها الأسعاع ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ﴿وَصَحْبِهِ﴾ زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾ هول ذلك اليوم ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: لكل واحد منهم أمر يشغله ويمنه الانشغال بغيره. (التفسير الميسر) (ج ١٠ / ص ٤٠٩).

تأمل موقفًا من أيام القيامة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] ﴿يُوفُضُونَ﴾: يسرعون، والمعنى: يُبين الله حال الكفار يوم القيامة عند خروجهم من القبور فيقول سبحانه: ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿سِرَاعًا﴾ مسرعين إلى المحشر كأنه نُصب لهم نُصب فهم يستبقون إليه ويسرعون، كما كانوا في الدنيا يذهبون إلى آلهتهم التي اختلقوها للعبادة من دون الله يهرولون ويسرعون.

٢٨ - عواقب الدنيا

مَنْ تَفَكَّرَ بِعَوَاقِبِ الدُّنْيَا، أَخَذَ الْحَذَرَ، وَمَنْ أَيقِنَ بِطُولِ الطَّرِيقِ تَأَهَّبَ لِلسَّفَرِ، مَا أَعْجَبَ أَمْرَكَ يَا مَنْ يَوْقِنُ بِأَمْرِ ثُمَّ يَنْسَاهُ، وَيَتَحَقَّقُ ضَرَرُ حَالٍ ثُمَّ يَغْشَاهُ ﴿وَتَحْشَى النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَحْشَاهُ﴾ [الْإِنْشَاء: ٣٧] «صيد الخاطر» (ص ٢٦).

قَالَ الْعَلَمَاءُ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [الْبَيْتَةِ: ٣٩] إِذَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ بِأَنَّ الْمَوْتَ يَقْطَعُهُ عَنِ الْعَمَلِ، عَمِلَ فِي حَيَاتِهِ مَا يَدُومُ لَهُ أَجْرُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا وَقَفَّ وَقَفًّا، وَغَرَسَ غَرْسًا، وَأَجْرَى نَهْرًا، وَيَسْعَى فِي تَحْصِيلِ ذَرِيَّةٍ تَذْكُرُ اللَّهَ بَعْدَهُ، فَيَكُونُ الْأَجْرُ لَهُ، أَوْ أَنْ يَصْنِفَ كِتَابًا مِنَ الْعِلْمِ، فَإِنْ تَصْنِيفَ الْعَالَمِ وَلَدَهُ الْمُخْلَدُ.

«صيد الخاطر» (ص ٣٤)

قَالَ الْعَلَمَاءُ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الْبَيْتَةِ: ٢٦] الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَخَذَ الْعِدَّةَ لِرَحِيلِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَتَى يَفْجُؤُهُ أَمْرٌ بِهِ، وَلَا يَدْرِي مَتَى يَسْتَدْعَى؟ وَإِنِّي رَأَيْتُ خَلْقًا كَثِيرًا غَرِهَمُ الشَّبَابَ، وَنَسُوا فَقْدَ الْأَقْرَانِ، وَأَهْلَاهُمْ طَوْلَ الْأَمَلِ. «صيد الخاطر» (ص ٢٨).

لَمَّا تَمَكَّنَ الْحَسَدُ مِنْ قُلُوبِ إِخْوَةِ يُوسُفَ، أَرَى الْمَظْلُومَ مَالَ الظَّالِمِ فِي مِرَاةٍ ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يُوسُفَ: ٤] وَمَتَى رَأَيْتُ الْقَلْبَ قَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ حُبُّ اللَّهِ وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْقَائِهِ، وَحُلٌّ فِيهِ حُبُّ الْمَخْلُوقِ، وَالرِّضَا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالطَّمَأْنِينَةُ بِهَا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ خَسَفَ بِهِ. «بدائع الفوائد» (ج ٣ / ص ٧٤٣).

٣٩- ترغيب وترهيب

قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٤٩ ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ٥٠ ﴾ وقال علي عليه السلام: لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخافن عبد إلا ذنبه، فالخوف الذي يحصل عند ذكره هو بسبب من العبد، وإلا فذكر الرب نفسه يحصل الطمأنينة وإلا فما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، كما قال ذلك المريض الذي سُئِلَ كيف تجددك؟ فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمعا في قلب عبد مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف».

«النبوات» لابن تيمية (ص ٨٣)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ٢٠ ﴾ [بَقَرَةُ: ٢٠] جمع جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة، بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، لأنّ مطامع العقلاء محصورة في أمرين، هما جلب النفع ودفع الضرر، وضح ذلك في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٤٩ ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ٥٠ ﴾ [الْحَجَر: ٤٩-٥٠] وقوله تعالى: ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ٥١ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ٥٢ ﴾ [الْإِنشَاء: ٥١-٥٢] وقوله تعالى في آخر الأنعام: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٣ ﴾ وقوله في الأعراف: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ٥٤ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٥ ﴾ «أضواء البيان» (ج ٦ / ص ٣٧٢).

٤٠- وما آتاكم الرسول فخذوه

قَالَ تَجَالِي: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [٢٧٦: ٢] يُخبر الله أنه يمحق الربا، أي: يذهبه إما بأن يذهبه بالكلية، من يد صاحبه، أو يجرمه بركة ماله، فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا ويُعاقبه عليه يوم القيامة، كما قال: ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: ٣٧]

«تفسير ابن كثير» (ج ١ / ص ٧١٣)

قَالَ تَجَالِي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [الحج: ٩٠] الندب بالإحسان إلى المسيء، وترك معاقبته على إساءته، فإن قيل: كيف يصح هذا التأويل في آيات البغي؟ قيل: وجه ذلك والله أعلم: أنه لما أعلم الله عباده بأن ضرر البغي ينصرف على الباغي بقوله: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ وضمن تعالى نصرة مَنْ بَغِيَ عليه، كان الأولى بمن بَغِيَ عليه شكر الله على ما ضمن من نصرته ومقابلة ذلك بالعفو عمن بغى عليه.

«تفسير القرطبي» (ج ١٠ / ص ١٦٨)

قَالَ تَجَالِي: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الأنفال: ١٩٩] بكل قول حسن، وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك إما تعليم علم، أو حث على خير أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى.

«تفسير السعدي» (ص ٣١٣)

قَالَ تَجَالِي: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَادِهِمْ وَحَفْظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [الشورى: ٣٠] عن النظر إلى ما لا يحل إليه، قال أبو العالية: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام، إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار،

حتى لا يقع بصر الغير عليه ﴿ذَلِكَ﴾ غرض البصر وحفظ الفرج ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أي: خير لهم وأطهر ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ عليهم بما يفعلون. «تفسير البغوي» (ج ٦ / ص ٣٢).

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ [التَّوْبَةُ: ٣١] الآية أمر الله تعالى النساء في هذه الآية بغض البصر عن كل ما يكره من جهة الشرع النظر إليه، وفي حديث أم سلمة قالت: كنت أنا وعائشة عند النبي ﷺ فدخل ابن أم مكتوم فقال النبي ﷺ: «احتجبن» فقلنا: أعمى فقال النبي ﷺ: «أفعميا وان أنتما»^(١) و﴿مِنْ﴾ تحتمل ما تقدم في الأولى، وحفظ الفروج يعم الفواحش وستر العورة وما دون ذلك مما فيه حفظ، وأمر الله تعالى بأن (تغض المرأة بصرها عن الرجال الأجانب).

«تفسير ابن عطية» (ج ٤ / ص ١٧٨)

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾ [التَّوْبَةُ: ٣٠] رب شخص أطلق بصره فحرمه الله اعتبار بصيرته، أو لسانه فحرم صفاء قلبه، أو أثر شبهة في مطعمه فأظلم سره، وحرم قيام الليل وحلاوة المناجاة. «صيد الخاطر» (ص ٦٦).

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾ [التَّوْبَةُ: ٣٠] مَنْ قارب الفتنة بعدت عنه السلامة، وَمَنْ ادعى الصبر، وكل إلى نفسه، ورب نظرة لم تُناظر! وأحق الأشياء بالضبط والقهر: [اللسان والعين] «صيد الخاطر» (ص ٢٦).

(١) أخرجه أبو داود (٤١١٢)، والترمذي (٢٧٨٨)، والنسائي في «الكبرى» (٩٢٤١)، وأحمد (ج ٦ / ص ٢٩٦)، وفي سنده نهان مولى أم سلمة، وهو مجهول، والحديث ضعفه الألباني في «الإرواء» (٢١١ / ٦) وشعيب الأرنؤوط في «تعليقه على المسند» (٢٦٥٧٩).

٤١- وما نهاكم عنه فانتهوا

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج: ١٨] وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَلَا تَعْبُدُوا فِيهَا غَيْرَهُ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الدُّعَاءَ وَالْعِبَادَةَ فِيهَا؛ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ إِلَّا لِيُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ فِيهَا دُونَ مَنْ سِوَاهُ، وَمَتَابَعَةُ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي نَهَى عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ. «التفسير الميسر» (ج ١٠/ ص ٢٨٧).

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١] أَي: قَالَ أَصْحَابُ الْكَلِمَةِ وَالنَّفُوذُ فِيهِمْ: لَنَتَّخِذَنَّ عَلَىٰ مَكَانِهِمْ مَسْجِدًا لِلْعِبَادَةِ، وَقَدْ نَهَى الرَّسُولُ ﷺ عَنِ اتِّخَاذِ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَسَاجِدَ، وَلَعَنَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فِي آخِرِ وَصَايَاهُ لِأُمَّتِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْغُلُوِّ الَّذِي قَدْ يُوْدِي إِلَىٰ عِبَادَةِ مَنْ فِيهَا. «التفسير الميسر» (ج ٥/ ص ١٢٥).

الْمُؤْمِن لَا يَعِيبُ أَخَاهُ أَوْ يَدْعُهُ بِمَا يَكْرَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١] اللَّقَبُ: اسْمٌ يَسْمَىٰ بِهِ الْإِنْسَانُ سِوَىٰ اسْمِهِ الْأَوَّلِ، وَيُرَاعَىٰ فِيهِ الْمَعْنَى، وَهُوَ مَا أَشْعَرُ بِرَفْعَةِ الْمُسَمَّى أَوْ ضَعْفِهِ، وَالْمَعْنَى: وَلَا يَعْيبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَدْعُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَا يَكْرَهُ مِنَ الْأَلْقَابِ ﴿يَتَسَّ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيْمَانِ﴾ بِسُّوِّ الصِّفَةِ وَالْأَسْمِ الْفُسُوقُ وَهُوَ السَّخَرِيَّةُ وَاللَّمْزُ، وَالتَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ بَعْدَ مَا دَخَلْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَعَقَلْتُمُوهُ ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ﴾ مِنْ هَذِهِ السَّخَرِيَّةِ وَاللَّمْزِ وَالتَّنَابُزِ وَالْفُسُوقِ ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بَارْتِكَابِ هَذِهِ الْمُنَاهِي. «التفسير الميسر» (ج ٩/ ص ٢٣٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] الْفَحْشَاءُ: وَهُوَ كُلُّ قَبِيحٍ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الزُّنَى، وَالْمُنْكَرُ: مَا أَنْكَرَهُ الشَّرْعُ بِالنَّهْيِ عَنْهُ، وَالْبَغْيُ: هُوَ الْكِبَرُ، وَالظُّلْمُ، وَالْحَقْدُ، وَالتَّعْدِي، وَحَقِيقَتُهُ: تَجَاوُزُ الْحُدُودَ وَهُوَ دَاخِلٌ تَحْتَ الْمُنْكَرِ، لَكِنَّهُ تَعَالَىٰ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ اهْتِمَامًا بِهِ لَشِدَّةِ ضَرَرِهِ. «تفسير القرطبي» (ج ١٠/ ص ١٦٧).

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦] المختار:

المتكبر، والفخور: الذي يفتخر على الناس بغير الحق تكبراً، قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة». «تفسير البغوي» (ج ٢ / ص ٢١٣).

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾ [الشعرا: ١٤٩] الفارهة: الحاذق

بالشيء، وفارهُون حاذقون. وقيل الفره: الأشر والبطر. والمعنى: الكلام لقوم ثمود قوم صالح أي: بلغت بكم الفراهة والحذق والبطر إلى أن اتخذتم بيوتاً من الجبال الصم الصلاب بطراً وعبثاً. «معجم الفرائد»، مادة (ف ر ه) (ص ٨٥) و«تفسير السعدي» (ص ٥٩٦).

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

[لقمان: ٦] قال أبو الصباء البكري: سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال: هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات. «تفسير البغوي» (ج ٦ / ص ٢٨٤).

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿يَمْحُؤُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الضَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]

ينقص الله الربا فيذهبهُ ﴿وَيُرِي الضَّدَقَاتِ﴾ يعني: أنه يُضاعف أجرها يربّيها وينميها له كما قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

«تفسير الطبري» (ج ٦ / ص ١٥)

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الانعام: ٣١] أرشد عباده إلى إدخال ما

يُقيّم البدن من الطعام والشراب عوضاً ما تحلل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن في الكمية والكيفية، فمتى جاوز ذلك كان إسرافاً، وكلاهما مانع من الصحة جالب للمرض، أعني: عدم الأكل والشرب، أو الإسراف فيه. «زاد المعاد» (ج ٤ / ص ٢١٣).

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٨٧]

[الطيبات] هي المستلذات مما أحله الله لعباده، نهى الذين آمنوا أن يحرموا على أنفسهم شيئاً منها، إما لظنهم أن في ذلك طاعة لله وتقرباً إليه، وأنه من الزهد في الدنيا لرفع النفس عن شهواتها، أو لقصد أن يحرموا على أنفسهم شيئاً مما أحله لهم كما يقع من كثير من العوام من قولهم: حرام عليّ وحرمته على نفسي. «فتح القدير» (ج ٢ / ص ٦٩).

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ [الْحَجَّال: ٩٢]

المعنى: ولا ترجعوا في عهودكم فيكون مثلكم مثل امرأة غزلت غزلاً وأحكمتها ثم نقضته ﴿نَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ تجعلون أيمانكم التي حلفتموها عند التعاهد خديعة لمن عاهدتموه ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ وتنقضون عهدكم إذا وجدتم جماعة أكثر مالا ومنفعة من الذين عاهدتموهم ﴿إِنَّمَا يَبَلِّوْكُمْ اللَّهُ بِهٖ﴾ إنما يختبركم الله بما أمركم به من الوفاء بالعهود، وما نهاكم عنه من نقضها. «التفسير الميسر» (ج ٤ / ص ٤٦٢).

٤٢- مناجاة

قَالَ تَجَالَى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]
 والمعنى: ربنا واجعلنا مستسلمين لأمرك، خاضعين لطاعتك، لا نشرك معك في الطاعة
 أحدا سواك، ولا في العبادة غيرك. «تفسير الطبري» (ج ٣ / ص ٧٣).

قَالَ تَجَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾
 [البقرة: ٢٠١] والمعنى: ومن الناس من يقول: ربنا أعطنا عافية في الدنيا وعافية في الآخرة.
 «تفسير الطبري» (ج ٤ / ص ٢٠٣)

قَالَ تَجَالَى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾
 رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿[البقرة: ٤٠] والمعنى: رب
 اجعلني مؤدياً ما ألزمتني من فريضتك التي فرضتها علي من الصلاة، واجعل أيضاً من
 ذريتي مقيمي الصلاة لك ربنا وتقبل عملي الذي أعمله لك وعبادتي إياك.
 «تفسير الطبري» (ج ١٧ / ص ٢٨)

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الأنعام: ٢٤] والمعنى: كن لهما ذليلاً رحمة منك بهما، تطيعهما فيما أمرك به مما لم يكن
 لله معصية، ولا تخالفهما فيما أحبباً وقل: رب ارحمهما، وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك،
 كما تعطف علي في صغري، فرحمني وربباني صغيراً، حتى استقلتت بنفسي، واستغنيت
 عنهما. «تفسير الطبري» (ج ١٧ / ص ٤٢٠).

قَالَ تَجَالَى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]
 والمعنى: ربنا آمنا بك وبرسلك، وما جاءوا به من عندك فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْ
 رحم أهل البلاء، فلا تعذبنا بعذابك. «تفسير الطبري» (ج ١٩ / ص ٧٩).

قَالَ تَجَالَى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١١٨] والمعنى: رب استر عليّ ذنوبي بعفوك عنها، وارحمني بقبول توبتك عليّ، وتركك عقابي على ما اجترمت وأنت يا رب خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته، ولم يعاقبه على ذنبه.

«تفسير الطبري» (ج ١٩ ص ٨٥)

قَالَ تَجَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [الْبَقَرَةُ: ٥٩] والمعنى: الحمد لله على نعمه علينا، وتوفيقه إيانا لما وفقنا من الهداية، وأمنة منه على الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ، فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به، الجاحدين نبوة نبيه. «تفسير الطبري» (ج ١٩ ص ٤٨٢).

قَالَ تَجَالَى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتَكَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ [تُحْج: ٢٨] والمعنى: رب اعف عني، واستر عليّ ذنوبي وعلى والدي ولمن دخل مسجدي ومصلاي مصلياً مؤمناً، يقول: مصداً بواجب فرضك عليه. «تفسير الطبري» (ج ٢٣ ص ٦٤٢).

قَالَ تَجَالَى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٢٨] والمعنى: اجعلنا ثابتين عليه، أو زدنا منه. قيل: المراد بالإسلام هنا مجموع الإيمان، والأعمال. وقوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ أي: واجعل من ذريتنا. «فتح القدير» (ج ١ ص ١٤٢).

قَالَ تَجَالَى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٤٠] والمعنى: اجعلني واجعل بعض ذريتي مقيمين للصلاة، وإنما خصّ البعض من ذريته؛ لأنه علم أن منهم من لا يقيمها كما ينبغي، ثم سأل الله سبحانه أن يتقبل دعاءه على العموم، قيل: والمراد بالدعاء هنا: العبادة، فيكون المعنى: وتقبل عبادتي التي أعبدك بها، ثم طلب من الله سبحانه أن يغفر له ما وقع منه، مما يستحق أن يغفره الله وإن لم يكن كبيراً، لما هو

معلوم من عصمة الأنبياء عن الكبائر. ثم طلب من الله سبحانه أن يغفر لوالديه، وقد قيل: إنه دعا لها بالمغفرة قبل أن يعلم أنها عدوان لله سبحانه. «فتح القدير» (ج ٣/ ص ١١٣).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الأنبياء: ٢٤] والمعنى: اخضع لوالديك كما يخضع العبد للسيد لفظ الغليظ «فتح القدير» (ج ٣/ ص ٢٢٠).

قَالَ تَجَالَى: ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٩٤] والمعنى: أي إن أنزلت بهم النقمة يا رب فاجعلني خارجاً عنهم. «فتح القدير» (ج ٣/ ص ٤٩٦).

قَالَ تَجَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [التكوير: ٥٩] والمعنى: الحمد لله على هلاك كفار الأمم الخالية، وسلام على عباده الذين اصطفى، والمراد بعباده الذين اصطفى: أمة محمد ﷺ. «فتح القدير» (ج ٤/ ص ١٤٥).

قَالَ تَجَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿[يونس: ٨٥] والمعنى: ربنا لا تنصرهم علينا فيكون ذلك فتنة لنا عن الدين، أو يُفتن الكفار بنصرهم، فيقولوا: لو كانوا على حق لما غلبوا، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين. «التفسير الميسر» (ج ٣/ ص ٤٥٧).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الأنبياء: ٢٤] والمعنى: وكُنْ لأمك وأبيك ذليلاً متواضعاً رحمة بهما، واطلب من ربك أن يرحمهما برحمته الواسعة أحياء وأمواتاً، كما صبرا على تربيته طفلاً ضعيف الحول والقوة. «التفسير الميسر» (ج ٥/ ص ١٨).

قَالَ تَجَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الأنبياء: ١١١] والمعنى: الحمد لله الذي له الكمال والثناء، الذي تنزه

عن الولد والشريك في ألوهيته، ولا يكون له سبحانه وليٌّ من خلقه فهو الغني القوي، وهم الفقراء المحتاجون إليه، وعظمه تعظيماً تاماً بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له. «التفسير الميسر» (ج ٥ / ص ١٠٥).

قَالَ تَجَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩] والمعنى: رب يسّر لي النزول المبارك الآمن، وأنت خير المنزّلين. وفي هذا: تعليم من الله عزّ وجلّ لعباده إذا نزلوا أن يقولوا هذا. «التفسير الميسر» (ج ٦ / ص ١٢٠).

قَالَ تَجَالَى: ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ ١٧ ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [الأنعام: ٩٧، ٩٨] والمعنى: رب أستجير بك من إغواء الشياطين ووسوستها المغرية على الباطل، والفساد والصد عن الحق، وأستجير بك - يا رب - من حضورهم في شيء من أموري. «التفسير الميسر» (ج ٦ / ص ١٨٥).

قَالَ تَجَالَى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٩] والمعنى: ربّ ألهمني ووفقني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ، وأن أعمل عملاً صالحاً ترضاه مني، وأدخلني برحمتك في نعيم جنتك مع عبادك الصالحين الذين ارتضيت أعمالهم. «التفسير الميسر» (ج ٦ / ص ٤٧٣).

قَالَ تَجَالَى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحجرات: ٣٦] والمعنى: فله سبحانه وتعالى وحده الحمد على نعمه التي لا تحصى على خلقه رب السموات والأرض وخالقهما ومدبرهما رب الخلائق أجمعين. «التفسير الميسر» (ج ٩ / ص ١٢٦).

قَالَ تَجَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سَبَّحًا: ١] والمعنى: الثناء على الله بصفاته التي كلّها أو صاف كمال، وبنعمه

الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي له ملك ما في السموات وما في الأرض، وله الشاء التام في الآخرة وهو الحكيم في فعله الخير بشؤون خلقه.

«التفسير الميسر» (ج ٧ / ص ٣٧٩)

قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] واذكر - أيها الرسول - قصة عبد الله زكريا حين دعا ربه أن يرزقه الذرية لما كبرت سنُّه قائلاً: رب لا تتركني وحيداً لا عقب لي، هب لي وارثاً يقوم بأمر الدين في الناس من بعدي وأنت خير الباقيين وخير من خلفني بخير. «التفسير الميسر» (ج ٦ / ص ٥).

قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[الجنَّة: ٥]

ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بعذابك لنا، أو تسلط الكافرين علينا فيفتنونا عن ديننا، أو يظهروا علينا فيفتنوا بذلك، ويقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا العذاب، فيزدادوا كفراً، واستر علينا ذنوبنا بعفوك عنها ربنا إنك أنت العزيز الذي لا يُغالب الحكيم في أقواله وأفعاله. «التفسير الميسر» (ج ١٠ / ص ١٠٥).

قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَارًا﴾ [نوح: ٢٨] والمعنى: رب اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات بك، ولا تزد الكافرين إلا هلاكاً وخسراناً في الدنيا والآخرة.

«التفسير الميسر» (ج ١٠ / ص ٢٧١)